

لبنان والانزلاق نحو المجهول

الكاتب



خليل حسين

د. خليل حسين

ثمة مجموعة من المعطيات والوقائع تشي بمضي لبنان بخطى ثابتة نحو المجهول، فالوضع السياسي إلى مزيد من التآزم، كما أن المؤشرات المالية والاقتصادية باتت بحكم الانهيار الشامل، علاوة على الانقسام العمودي الحاد المتصل برؤى الحلول الممكنة.

فبالنسبة لتشكيل الحكومة لا مؤشرات جدية تسهم في قرب التوصل إلى حكومة جديدة، بل ثمة كلام حول تعثر المساعي واتفاق غير معلن على عدم تشكيل حكومة في ما تبقى من الولاية الرئاسية، وذلك لتقاطع مصالح معظم الأطراف الفاعلة للوصول إلى الفراغ الرئاسي باعتباره فرصة باتجاه الاستثمار في غير اتجاه وصولاً إلى إمكانية التوصل إلى بيئة تمهد لعقد نظام سياسي اجتماعي جديد أقله منبثق من بيئة اتفاق الطائف مع بعض التعديلات، وهو ما يحدد صورة وطبيعة الرئيس القادم.

وثمة من يقول إن هذه الصورة مشروطة الوصول إليها عبر فراغ رئاسي وإذا استلزم الأمر أيضاً نوع من الانفلات الأمني كوسيلة لممارسة الضغوط بهدف الإكراه على القبول بالحلول المقترحة، وثمة من يؤكد على ذلك كصورة نمطية عما جرى في العام 1988 بعد انتهاء ولاية الرئيس أمين الجميل وتعيين قائد الجيش آنذاك الرئيس الحالي ميشال عون رئيساً للحكومة.

وثمة من يعتبر أن هذا الخيار هو أفضل الممكن، باعتباره يبقي الحكومة الحالية بحكم واقع تصريف الأعمال، وفي نفس الوقت هي من ستتسلم صلاحيات رئيس الجمهورية في حال قرر مغادرة القصر في الواحد والثلاثين من شهر أكتوبر/ تشرين الأول المقبل.. أما إذا لم يغادر الرئيس الحالي القصر الجمهوري على قاعدة عدم وجود حكومة أصيلة تحكم في

حال الفراغ الرئاسي، فهو أمر سيتترك تداعيات خطيرة على الواقع المأزوم أصلاً

في الجانب الاقتصادي الاجتماعي لا يبدو الأمر بأفضل حال، فثمة مزيد من تدهور العملة الوطنية أمام العملات الأجنبية إلى مستويات غير مسبوقة، معطوفة على تنامي مظاهر العوز والفقر الذي تجاوز التسعين في المئة، في وقت ازدادت مظاهر الهجرة الجماعية للبنانيين ما يهدد بشكل أساسي طبيعة التركيبة الاجتماعية والديمقراطية للواقع اللبناني

والمظهر الآخر الأشد قسوة وخطورة هو الإضراب العام المفتوح الذي ينظمه موظفو القطاع العام منذ ستة أسابيع، في وقت لم تتمكن الحكومة من التوصل إلى حلول ترضي مواطنيها، كما أثر إضراب هذا القطاع على معظم القطاعات الأخرى حتى بدت جميع القطاعات العامة والخاصة في شلل تام

إن تركيبة النظام القائم حالياً بعد الانتخابات النيابية الأخيرة لم تنتج جيداً قادراً على إخراج لبنان وشعبه من هذه الدوامة، بل أنتجت تفاهات غريبة عجيبة قادرة على إعادة التحكم بالكثير من مفاصل الحكم، وكأن اتفاقاً ما قد تم بين هذه القوى على أن تكون دائماً بحاجة لبعضها دون تمكن بعضها من الاستفراد بحل ترتبته منفردة، بحيث تبقى بحاجة دائمة لبعضها البعض

يمر لبنان اليوم بأسوأ أزماته على الإطلاق، وهو ينزلق إلى هاوية لا قعر لها، في وقت ينشغل العالم بأزماته التي لا حصر لها. ويبدو أن اللبنانيين لم يعودوا قادرين لوحدهم على تحديد مستقبلهم ومصيرهم، ما يصعب الأمر عليهم ويجعلهم فريسة سهلة في وقت باتوا بحاجة لكل شيء

صحيح أن لبنان كان عرضة وبشكل دائم لأزمات ممتدة في تاريخه السياسي الحديث والمعاصر، وكان دائماً تتوفر له الظروف لتجاوز أزماته، لكن الأمر هذه المرة مختلف تماماً، بل ثمة ظروف إقليمية ودولية معقدة جداً، ومن الممكن أن يشهد لبنان انهيارات قاسية يصعب عليه تجاوزها.. للأسف